الديوان الرابع

زبور العجم

نقله إلى العربية شعرًا

الدكتور حسين مجيب المصري

طرحِ نو افگن که ما جدّت پسند افتاده ایم
ایں چه حیرت خانهٔ امروز و فردا ساختی

هذا الدِّيوان ـ في الأصل ـ جزءٌ هو أشبه بالفصل ، ترتيبه قبل الأخير في الدِّيوان ، عنوانه : « زبور العجم » .

وليس من التزيد وتجاوز الحد قولنا : إنه على لطافة حجمه يستغرق جمهرة أفكار محمد إقبال في عموم وشمول ، ويكشف النقاب عن وجه الحقائق التي أومأ إليها الشاعر ، ويوضح على نحوٍ دقيق عميق قيماً ومثلاً كان حائاً عليها موجباً للأخذ بها ، كما يجري عليه صفاته ويميزه بسماته مفكراً ، يغوص على الجوهر منصرفاً عن المظهر ، في دعوةٍ بلغتْ من الجرأة مداها ، يتمسَّك صاحبُها فيها التمسُّك الشَّديد العنيد بمذهبه الجديد ، ضارباً صفحاً عن معروف القوم ومألوفهم في العصور الخوالي ، وإن كان في نظرهم مقدساً من تراثهم .

محتوى الديوان

يحتوي أصل الديوان على أربعة أقسام :

القسم الأول : فيه دعاء ، وست وستون قطعةً أكثرُها بدون عنوان .

القسم الثاني : فيه خمسٌ وسبعون قطعةً تقلُّ فيها العناوين أيضاً .

القسم الثالث : (الّذي هو بين أيديكم) هو بعنوان « حديقة السرِّ الجديد » (گلشن رازجديد) وهو على طريقة «گلشن راز » .

أخرجه الشاعر عام ١٩٢٩م ساجلاً به كتاباً لصوفي من أهل القرن السابع وأوائل الثامن هو الشيخ محمود الشبستري ، عنوانه روضة السرِّ (گلش راز) ، ألَّفه الشيخ الشبستري إجابة لأسئلة في التصوُّف أرسلها إليه بعض الصُّوفية ، ولهذا سماه الشاعر ـ محمد إقبال ـ « روضة السر الجديد » (گلشن راز جديد) وفيه يُجيب عن تسعة أسئلة فيها رقائق فلسفيَّة وصوفيَّة .

القسم الرابع : كتاب العبودية ، ويبيِّن فيه الشاعر آثار العبودية في الحياة والفنون الجميلة على مذهبه المعروف .

وإليكم الآن القسم الثالث من هذا الديوان الّذي نقله مِن الفارسية إلى العربية شعراً الأستاذُ حسين مجيب المصري :

لـك عيـنٌ ، نظـراً فيهـا خلقـت ... لـك نفـسٌ ، ولهـا دُنيـا خلقـت
نـامَ هـذا الشَّـرقُ لا يـرعـاه نَجْـم ... بنشيـد العَيْـش فجـراً قـد خلقـت[1]

* * *

تمهيد

خبـا فـي الشَّـرق ذيَّـاك اللهيـبْ ... فـأيـن الـرُّوحُ بـل أيـن الـوجيـب[2]
وأضحـى صـورةً تـرنـو إليهـا ... ومـا للعيـش مـن ذوقٍ لـديهـا[3]
يجـافـي قلبُـه طيـفَ الأمـانـي ... ويُسكـت نـايَـه رجـعُ الأغـانـي[4]
عـن المقصـود مـن قـولـي أبنـتُ ... علـى سفـرٍ لمحمـودٍ أجبـتُ
تـوالـت بَعْـدَ ذا الشيـخِ العهـود ... ومـا لِلنَّـار فـي روحٍ وقـود[5]
لنـا كَفَـنٌ ونَـرْقـدُ فـي ثـرانـا ... قيـامُ البعـثِ يـومـاً مـا عنـانـا[6]
وفـي تبـريـزَ عيـنٌ للحكيـم ... رأتْ آثـارَ جنكيـزَ الظَّلـوم[7]

---

(١) رعى النجم : راقبه ، وانتظره . وفي الأصل أنَّ الشرق نام مستتراً عن النجم .
(٢) خبت النار : انطفأت . الوجيب : خفقان القلب .
(٣) يرنو : ينظر في سكون ودوام . الذوق : نورٌ يلقيه الله في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل .
(٤) يجافي : ضد يواصل ويؤانس . الرجع : الصَّدى .
(٥) أبان : أفصح وبين . والسفر : الكتاب . والإشارة إلى كتاب گلشن راز لمحمود الشبستري الذي نظم الشاعر منظومته تلك في الرد عليه . وقدت النار وقوداً : اشتعلت .
(٦) الإشارة في قيام البعث إلى تحرك الهمم إلى العمل على ما فيه صلاح الدنيا والآخرة . عنانا : أهمَّنا .
(٧) تبريز : مدينة في شمال إيران ينسب إليها الشبستري . وإقبال يذكر ما ماج به عهد المغول من جسام الخطوب ، وقد عاصر الشبستري هولاكو ، فذكر چنكيز على سبيل المجاز .

ولكنْ ثورةٌ أخرى وَجَدْتُ ... وشمسٌ غير هذي ما شهِدتُ
رفعتُ أنا عن المعنى النِّقابا ... جعلتُ الشَّمسَ ما كان الترابا
ألستَ ترى بلا كأسٍ خُماري ... وليس لشاعرٍ غيري شعاري[1]
وكلُّ الخيرِ فيمن قال تَعْدَم ... بأنِّي شاعرٌ يا صاح فافهم[2]
فما أشتاقُ داراً للحبيب ... وما في القلب منْ وَجْدٍ مذيب
ترابي ليس من هذا الممر ... وفيه القلبُ لا يشقىٰ بأسر
لقد صافيتُ جبريلَ الأمينا ... عَدُوّاً لا أشاهدُ لي مبينا[3]
بفقري كان لي مالُ الكليم ... وجاهُ الملكِ في سَمَل العديم[4]
وما الصَّحراء تحويني تُرابا ... ولا الدأماء تطويني عُبابا[5]
زُجاجي منه ترتعد الصُّخورُ ... وأفكاري بلا شطٍّ بُحور
هي الأقدارُ تكمنُ خلف ستري ... قياماتٍ أقمتُ بمحضِ أمري
بذاتي برهةٌ ها قد خلوتُ ... بدنيا الخُلدِ أخلقها بدوت
وليس العارُ من شعري عليا ... فللعطَّار لن تجدِ السَّميَّا[6]

---

(١) الخمار : صداع السكر . يقول : إنَّ مذهبه مخالف لمذهب غيره من الشعراء .

(٢) عدم الشيء : لم يجده . يا صاح : يا صاحبي ، حذف آخره للترخيم . وكأنما إقبال يكره أن يعدَّ شاعراً .

(٣) العدو المبين : الشديد العداوة .

(٤) الكليم : موسى عليه السلام . وظاهر أنَّ الإشارة إلى قوله تعالى في سورة القصص : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] وقد أراد موسى أنه فقير الدنيا لأجل ما أنزل الله إليه من خير الدين وهو النجاة لأنه كان عند فرعون في ملك وثروةٍ ، وقال ذلك وهو راضٍ بهذا البدل ، وفرحاً به وشاكراً له ، والفقر عند الصوفية من مقاماتهم . وهو ليس فقدان الغنى ، بل فقدان الرغبة فيه والميل إليه ويؤثر عنهم قولهم (الفقر فخري) . السَّمل : الثوب البالي . العديم : الفقير .

(٥) الدأماء : البحر . والعباب : الموج .

(٦) العطار : هو الشاعر الفارسي الصُّوفي « فريد الدين العطار » من أهل القرن السادس الهجري . وله منظومة بعنوان منطق الطير ، يصور فيها فناء الصُّوفي في الذات =

بـــروحـــي للحيـــاة مـــع الفنـــاء صـــراعٌ ، لا أرى غَيْـــرَ البقـــاء
رأيـــتُ ثـــراك عـــن روحٍ غـــريبـــا ففيـه نفختُ مـن روحـي دبيبـا[1]
ولـــي فـــي القلـــب وهـــاجُ السَّعيـــر دجـــاكَ أنِـــر بمصبـــاحـــي المنيـــر[2]
وذاك القلـــبُ حـــبٌّ فـــي ثـــراه كلـــوحٍ خطَّـــه مـــا فـــي ســـواه[3]
وذوق الـــذَّات شهـــدٌ فـــي لهـــاتـــي وهـــذا كلُّـــه مـــن وارداتـــي[4]
لقد جربت ذلكَ في البدايه منحت الشرقَ منه في النهايه
وجبـــريـــلُ كتـــابـــي إنْ رآه أنـــارَ لنـــا بلمـــحٍ مـــن سنـــاه[5]
لـربِّـي ظـل يشكـو مـن مقـامـه وحـالُ القلـب بيّـن فـي كـلامـه
جـــلاء للتَّجلِّـــي لا أريـــد ولكـنْ مـا حـوى القلـبُ العميـد[6]
كففـتُ عـن الـوصـالِ السَّـرمـديّ لـذذتُ شكـاةَ قلـبٍ لـي شجـي[7]
غرورَ المرءِ هبني والخضُوعا إذا ما ذابَ أوْ أمسى دُموعا !

السؤال الأول

وقفتُ حيال فكري في التحيُّر فما مفهوم ما يُدعى التفكُّر

= الإلهية . وكأنما يريد إقبال ليقول : إنَّ شعره في تصوير مذهبه مغاير لشعر العطار .
السَّميُّ : النظير هنا .

(١) الدبيب : دبَّ الشراب والسُّقم في الجسم دبيباً : سرى ، وكأنه مشى .

(٢) السعير الوهاج : النار المتأججة المضيئة .

(٣) يشبه قلبه باللوح الذي كتب فيه . غير أنَّ ما يحويه مخالفٌ لما يحوي غيره .

(٤) اللهاة : لحمة في الحلق . الواردات : ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمُّدٍ من الإنسان .

(٥) السنا : الضوء . وقد صرفنا المعنى عن أصله بعض الشيء في ترجمة هذا البيت خشية فهم المبالغة فيه على ظاهرها .

(٦) العميد : من هدَّه العشق .

(٧) السَّرمديُّ : الخالد . والشَّجيُّ : الحزين .

طريقٌ شرْطُها من أيِّ فكر ؟ نطيعُ اللهَ ثمَّ نكادُ نكفر !

الجواب

بِصَدْرِ المرءِ منَّا أيُّ نور عجيبٌ ، غيبُه عَيْنَ الحضور
بدا لي الثَّابتُ السَّيارُ جهرهْ أراه النَّار أو نوراً بنظره[1]
وفيه النَّار حيناً منْ دليل ويَسْطَعُ نورُه مِنْ جبرئيل
بهذا النُّور للرُّوح الشُّروق شعاعٌ منه شمساً قد يفوق
بمسِّ التُّرب ينأى عن مكانٍ بقيدِ اليومِ يخرجُ مِنْ زمان[2]
وما بتردُّدِ الأنفاس يبقى دؤوباً مثله في البحث تلقى ؟
ويهنأ في الشواطىءِ بالمقام يعبُّ البحرَ أحياناً بجام[3]
عصا موسى وهذا كان بحرَه وَقَدْ ضُرِبَتْ فشقَّت منه صَدْرَه
غزالٌ ، وهو يرعى في السماء ويُرْوىٰ مِنْ مجرتها بماء[4]
له في الأرضِ والزَّرقا مقر وحيداً بين قافلةٍ يمر[5]
ومن أحواله ظلمٌ ونور وجناتٌ وموتٌ ثمَّ صُور
لإبليسَ وآدمَ منهُ مظهر ويَكْمُن تحته لا شَكَّ مخبر[6]

---

(١) جهرة : عياناً . أو : بمعنى الواو .
(٢) الترب : التُّراب . اليوم : المراد به هنا مرور الليل والنهار .
(٣) عبَّ الماء : شربه بلا تنفس ، والجام : الكأس .
(٤) المجرة : نجوم تسمى حاملة التبن أو ناثرته في الفارسية ، والطريق اللبنية في الإنجليزية ؛ لأنها تشبه طريقاً يتناثر فيه التبن ، كما شبهت في الشعر الفارسي والعربي بالنَّهر .
(٥) الزرقاء : السماء .
(٦) يشير إلى أن إبليس مخلوق من نار وهو يجسد الفكر ، أمَّا آدم وهو يجسد الروح فإنه بالإلهام انعكاس للنور الإلهي .

إليه العينُ في شوقٍ شديد ... تجلُّ منه إعجابُ الحميد[1]

بعينٍ خلوةٍ ها قد رآها ... تجلُّ عينه الأخرى ملاها[2]

حرامٌ عَصْبُ عينٍ بامتهان ... فشرطٌ للطَّريق ، له اثنتان

وذاكَ البحرُ يخلقه بنهره ... ويُصبح جوهراً في مستقره

فيبدو صورةً ليست لجنسه ... وغوَّاصاً يصير للقط نفسه !

هياجٌ فيه منعدمٌ صداه ... له لونٌ ، وما أحدٌ رآه

وهذي كأسُه تحوي الزَّمانا ... وبالتَّدريج نُدْرِكُه عيانا

حياةٌ منه بالأوهاق تُرمىٰ ... ومنْ يعلو ولا يعلو لتُصمى[3]

ولكنْ نَفْسَها أسرتْ بذلك ... وغيرَ اللهِ أوْرَدَتِ المهالك[4]

وأنتَ العالمينَ إذا غزوتا ... فَوَحْدَكَ من هلاكٍ قد نجوتا[5]

وهذا البحثُ في القفر احذرنَّه ... عليكَ بعالمٍ فيك ادخلنَّه

ضعيفٌ ؟ خذْ من الذَّات قوى ... تريدُ الله ؟ قرِّبها ، لذاكا

بغزو الذَّات إنْ يوماً ظفرتا ... لكَ الآفاقُ في ملكٍ وجدتا

لكَ الدُّنيا ، ليسعد يومُ نصرك ... سماءً قد شَقَقْتَ فَتِهْ بِقَدْرك

جعلت البدر يسجدُ في هوانٍ ... عليه رميت أوهاق الدُّخان[6]

---

(١) تصرفنا بعض الشيء في ترجمة هذا البيت كراهية فهم المبالغة فيه على ظاهرها ، والحميد : هو الله تبارك وتعالى .

(٢) ملاها : ملأها .

(٣) الأوهاق : جمع وهق وهو حبل ذو أنشوطة يطرح في عنق الحيوان أو الإنسان ليؤخذ به . ويصمى : يقتل .

(٤) غير الله : ترجمة ماسوا في الفارسية أي ما سوى الله . وفي هذا إشارة إلى طلب الوحدانية والانصراف عن التعدُّد إلى الواحد .

(٥) يريد بالعالمين عالم الطبيعة وعالم الذَّات .

(٦) الأوهاق : تقدَّم شرحها .

بهذا الدَّير حرَّاً قد أقمتا ... وأصناماً كما تهوى نحتَّا[1]

من الدُّنيا بملك كلِّ حذفورْ ... مقامَ الصَّوتِ والألوانِ والنُّورْ[2]

وتنقصه وأنتَ تزيدُ فيه ... تغيُّرُه على ما تشتهيه[3]

بِقَطْعك عنه قَلْبك كلّ قطع ... وإبطال الطِّلسم لسحرٍ تسع[4]

إذا ما شئتَ غوصاً في ضميره ... فَقَمْحَكَ فضِّلَنْ على شعيره

وهذا الملكُ ، والملكُ العظيم ... وتوءمه هو الدِّين القويم[5]

السُّؤال الثَّاني

وعلمٍ كان ساحلَ أيِّ بحر ؟ ... بعيدِ القاع يُخرجُ أيَّ درّ

الجواب

حياةٌ ، يا لها بحراً يمور ... وساحله الفَطانة والشُّعور[6]

عميقٌ موجُه أبداً يميد ... وفي الشُّطآن أطوادٌ وبيد[7]

عُبابٌ فيه قد عَدِمَ القرارا ... فلا تسأل ، على شطٍّ أغارا[8]

---

(١) الدَّير القديم : من أسماء الدُّنيا في الشِّعر الفارسي .

(٢) الحذفور : الجانب . وجمعه حذافير . يقال : ذكره بحذافيره ؛ أي بجميع جوانبه ، وتفاصيله .

(٣) يريد العالم .

(٤) الطلسم : كتابة للسَّحرة . والتسع هي السموات السبع .

(٥) في رأي إقبال أنَّ الملك ينبغي أن يقوم على أساسٍ من الدين أي : الدِّين الحنيف .

(٦) الفَطانة : الإدراك ، والفهم .

(٧) يميد : يضطرب . الشطآن : جمع شاطىء . الأطواد : جمع طود وهو الجبل . والبيد : جمع بيداء وهي الصحراء .

(٨) العباب : الموج .

روى الصَّحراءَ منقطعاً عن اليمِّ ... أفاد العين معنى الكَيْف والكمِّ[1]

وما تلقاه جاء إلى حضوره ... ينيرُ بفضل فيضٍ من شعوره[2]

بخلوته انتشى كرهَ الرَّفيقا ... بقلبِ الكائناتِ بدا شروقا[3]

ويظهر أولًا للمستنير ... بمرآةٍ ليؤخذ كالأسير

وقرَّبه من الدُّنيا الشعورُ ... فأدرك سرَّها وهو الخبير

بدا بالعقل مرفوعَ النِّقاب ... ولكن قد تعرَّى بالخطاب

وفي دنياه ليس له مُقام ... من الدُّنيا له هذا المقام[4]

ترى الدُّنيا ولكنْ ليسَ فيكا ... بما تحويه فَلْتَدَع الشُّكوكا

من الأزهار دنيا اللون طاقه ... نُقيِّدها ، لها منَّا انطلاقه[5]

طريق القلبِ سرى إليها ... ويثني كلُّ مخلوق عليها

إذا أغْمضْتَ عنها العينَ هانت ... وإلا البحرَ والأطوادَ كانت[6]

برؤيتنا لدنيانا النَّماء ... بنا لِغُصونها هذا العَلاء

ومنظورٌ وناظرُ غورِ سرٍّ ... تَضَرُّعُ قلبِ ذرات لأمر

أنا المشهودُ يا مَنْ أنت تَشْهدْ ... لتجعلني ، فبالنظراتِ أوجد[7]

---

(١) اليمُّ : البحر .

(٢) الحضور في الاصطلاح : حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي كالحكم العيني .

(٣) انتشى : سكر . والمراد أنه طاب نفساً بعزلته .

(٤) المقام : بضم الميم الإقامة . وبفتحها الرياضة الروحية عند الصوفية التي توجه سلوكهم ، وهي من الأمور المكتسبة الاجتهادية وتخضع للإرادة . وقالوا : إنَّ المقام هو القيام أو موضع قيام العبد في طريق الحق . ومن مقامات الصوفية التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرِّضا .

(٥) طاقة الزهر : ما يجمع منه في حزمة . يقول : إنَّ العالم الخارجي خليطٌ من ألوان وأشكال وروائح . ونحن نقيد هذا العالم ونخضعه لنظام معين .

(٦) الأطواد : تقدم شرحها .

(٧) الإشارة هنا إلى الخلاف بين الواقعية والمثالية .

وذاتُ الشيء تَكْمُلُ بالوجود ... وبالتمكين من هذا الشُّهود
فليس زوالُها بالبعد عنَّا ... ونورُ شعورِنا فَقَدَتْهُ منَّا
تجلِّينا به الدُّنيا تكون ... بنا نورٌ تجلَّى أو رنين[1]
ومنها العونُ في اللأواءِ جَرَّبْ ... بأحوالٍ لها نظراً فأدَّبْ[2]
وأيْقِنْ أنَّ آساد الفلاة ... أرادتْ عونَ نملٍ للنَّجاة[3]
تعينك ، أنتَ تلكَ الذَّاتُ فاعرف ... كجبريل الأمين إذاً فرفرفْ
وعالمُ كثرةٍ بالعقل شاهدْ ... لتدركَ مظهراً يبديه واحد[4]
ومن ريحِ القميصِ فنلْ نصيبا ... تنسَّم منْ ضفاف النِّيل طيبا[5]
وذاتك نيِّرين بها تصيدُ ... ومن تدبيرها لهما القيودُ[6]

---

(١) إقبال لا ينكر الوجود ، بل ما يبدو من مظاهر الموجودات ، وهو يؤكد أثر العقل على ما يقع تحت الحسّ ، ويشير إلى أنَّ العالم يحمل طابع الإنسان عليه .

(٢) اللأواء : الشدة .

(٣) هذا مذكور بقوله تعالى في سورة النمل : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل : ١٧ ـ ١٩] فلما رأت النملة جنود سليمان فرت منهم فتبعها غيرها وصاحت محذرةً منبهةً . وهذا منها شبيه بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم وكأنها بذلك أنجت النّمال كما أنجت جنود سليمان من ظلمٍ كادوا يرتكبونه وهم لا يشعرون وهو سحق تلك النمال ، فعجب سليمان لها على ضعفها كيف كانت سبباً في نجاة جنوده من ظلمهم النمال من هلاكها . آساد الفلاة : أسود الصحراء . وهم هنا جنود سليمان .

(٤) إنَّ النظر في هذا الكون بكلِّ ما وسعَ أولُ دليلٍ على قدرة الواحد تبارك وتعالى .

(٥) قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف : ٩٣] وقد أرسل قميص يوسف من مصر إلى أرض كنعان ، ووجد فيه يعقوب رائحة يوسف ، فارتدَّ إليه بصره . الريح : الرائحة . تنسم : شمَّ .

(٦) المراد بالنيرين الشمس والقمر .

وتلـك الـذَّات فـي دنيـاك أضْـرِم بغـزوكَ مـا تـرى أو غـابَ حطِّـم[1]

* * *

السؤال الثالث

يقال لممكنٍ صلةٌ بواجب وما بعدٌ وقربٌ يا مخاطب ؟[2]

* * *

الجواب

وهـذا العـالـمَ الفـانـي فجـدِّدْ وعقـلَ كيفـه والكـمَّ قيِّـدْ
لإقليـد وطـوسـيٍّ أراه وعقـل قـاس أرضـاً قـد كفـاه[3]
وليـس حقيقـةً فيـه الـزَّمـانُ ولا أرضٌ ولا حتَّـى المكـانُ
أقـم هـدفـاً لتـرشـقَ بـالسِّهـام وما المعراجُ فافهم من كلامي[4]
أتحـوي مطلقـاً دنيـا الجـزاء وليـس سـوى ضيـاءٍ للسَّمـاء[5]

---

(١) في الأصل المكان واللامكان أي هذا العالم والعالم الآخر . يرى إقبال أنَّنا لا نتجاوز عالمنا بالعقل ، ولكننا نبلغ العالم الثاني بالرُّوح الملهمة . وتسمى هذي القوَّة الروحية سلطاناً .

(٢) في الأصل : القرب والبعد والكثيرُ والقليلُ .

(٣) هو إقليدس الذي علم الهندسة في الإسكندرية على عهد بطليموس ووضع مبادىء علم الهندسة السَّطحية . والطوسي : هو نصير الدين الطوسي فلكي رياضي ، كان معقود الصلة ببلاط هولاكو . وقد شرح كتاب الأصول لإقليدس .

(٤) رشقه بالسهم : رماه به .

(٥) في الأصل دير المكافأة . والدَّير في الشعر الفارسي يطلق على الدُّنيا . يشير إلى قوله تعالى في سورة النور ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النُّور : ٣٥] وعند إقبال أنَّ النور أقرب شيء إلى المطلق .

وما لحقيقةٍ زمنٌ وَحَدّ ... فكيف تريدُ دنيا لا تحدّ !

لها حدٌّ ولكنْ ليس يظهرُ ... ولا يخفى بها ما كان أكثر[1]

وليس ببـاطنٍ أيُّ ارتفاع ... ويقبلُ ظاهرٌ كلَّ اتِّساع[2]

إلى أبدٍ لعقلٍ ما السبيل ؟ ... فواحده كثيرٌ ، والقليل

وأعرجُ كان ، بغيته السُّكون ... على القِشْر اللبابُ له يكون[3]

ومزَّقنا الحقيقةَ في يَدَيْنا ... مظاهرَ للفوارقِ ما رأينا

وفي غير المكانِ رأى مكانا ... وكالزُّنَّار يتَّخذُ الزمانا[4]

زمانٌ ما بدا لي في الضمير ... خلقت الوقت يمضي بالشهور[5]

يمرُّ العام ، ما ساوى الشَّعيرا ... بآية ﴿ كم لبثتم ﴾ كن بصيرا[6]

لذاتِك عُدْ ، تَخَلَّص من هديرٍ ... ونَفْسَك ألقِ في قاع الضَّمير[7]

وفصلُ الجسْمِ عَنْ روحٍ كلام ... فتفرقةٌ وتمييزٌ حرام

وتخفي الرُّوحُ سرَّ الكائنات ... وهذا الجسمُ حالٌ للحياة

---

(١) في الأصل أنَّ حدها في داخلها لا في خارجها وليس في داخلها منخفضٌ ولا مرتفع ولا قليلٌ ولا كثيرٌ .

(٢) يذهب إقبال إلى أنَّ الزمان والمكان مما يقيس به العقل عالم الطبيعة إلا أن العقل يعجز عن إدراك المطلق ؛ لأنَّه يربط الواحد بغيره والقليل بالكثير .

(٣) كان هنا تامة .

(٤) راجع ما قلناه في المكان واللامكان في ديوان « هدية الحجاز » . والزنَّار : ما يشد به النصارى وسطهم .

(٥) الحقيقة في نظر إقبال لا تقبل التجزئة وهي في تغيُّر ، وليس في الإمكان قياس الزمان بالأعداد .

(٦) حبة الشعير مضرب المثل في حقارتها في الفارسية ، أمَّا آية ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ فمن قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ [الكهف : ١٩] ولقد لبثوا في الكهف طويلاً طويلاً . وإقبال بذلك يقدِّم الحجَّة على عجز الحساب عن قياس الزَّمن .

(٧) الهدير : صوت الرَّعد والبحر .

لهـا الحنَّـاء مِـنْ صَـوْرِ عـروس ... هي المعنى ، ففي حُلَلٍ تميس[1]

تستَّـرت الحقيقـةُ بـالنِّقـاب ... ويسعدُها الظهورُ بلا حجاب

وبيـنَ الـرُّوح والجَسَـدِ الفـراق ... بغربٍ ، أين في الحكم الوفاق[2]

رجـالُ الـديـنِ سُبْحَتُهـم تـدور ... بـأمـرِ الحكـمِ ليـسَ لهـمْ شُعـور

ففـي التمـويـه منقطـعُ الشبيـه ... هـو الجسـدُ الـذي لا روح فيـه[3]

وقلبُـك ثـمَّ عقلُـك فـاصْحَبَـنْ ... إلـى الأتـراكِ فـارْحَـلْ ، وانظُـرن

بتقليـدٍ لهـم ذاتـاً أضـاعـوا ... بدينٍ ربطُ حكمٍ لم يراعوا

وكـم جـزءٍ لـواحـدٍ قـد رأينـا ... بـأعـدادٍ لنُحصيـه أتينـا

تـرى دنيـاكَ مـا يبـدو كتـرب ... أراهـا بـرهـةً مـنْ صُنْـعِ ربـي[4]

وصـورةَ ميـتٍ رسـمَ الحكيـم ... بـلا عيسـى ولا ضـربِ الكليـم[5]

ومـا مـنْ حكمـةٍ قلبـي رآهـا ... بشـوق حكمـةٍ أخـرى ابتغـاهـا

أرى الـدُّنيـا بثـورتهـا تميـد ... خفـوقٌ هـزَّ بـاطنهـا شـديـد[6]

دعِ الأعـدادَ واطـرحهـا ، لتهمـل ... وبعـض الـوقـت فـي ذاتٍ تـأمَّـل

فمـنْ كـلِّ جـزيء كـانَ أكثـر ... جنـون قـولـة الطـوسـي وآخـر[7]

---

(١) تميس : تتبختر .

(٢) يقول : إنَّ أهل الغرب يفصلون بين الروح والجسد ، وبالتالي فصلوا بين الدين والدولة ، وعكف رجال دينهم على العبادة دون أن يلتفتوا إلى شأن من شؤون الحكم في دولتهم .

(٣) يريد نظام الحكم الذي ينفصل عن تعاليم الدين . والتمويه : الخداع بالظاهر .

(٤) يريد ليقول : إنَّ العالم كتلةٌ من المواد ، ولكنَّها أحداثٌ متلاحقة . وسلوكٌ منظم ، والطبيعة للذات الإلهية ، كالطبع للذات الإنسانية ، وهي في تصوير القرآن عادةٌ إلهية ، كما يقول إقبال .

(٥) هو عيسى عليه السلام الذي أحيا الموتى ، والكليم موسى عليه السلام الذي ضرب البحر بعصاه .

(٦) تميد : تضطرب .

(٧) في الأصل : نصير الدين الطُّوسي ، وفخر الدين الرازي من أهل القرن السادس الهجري .

أرسطـــو مـــرَّةً إيَّـــاه فـــاعـــرِفْ وبيكـــون لحنَـــه يـــومـــاً لتعـــزفْ[١]
لهـــذيـــن المقـــامُ فغـــادرنَّـــهْ تضيـــعُ بمنـــزلٍ ، فحـــذارِ منْـــه
بعقلـــكَ وهـــو يـــدركُ كـــلَّ كـــمّ وبـــاطـــنَ مَعْـــدنٍ أو قـــاعِ يـــمّ[٢]
علـــى دنيـــاكَ سَيْطـــرِ ثُـــمَّ هَيْمـــنْ وفـــي أفـــلاكهـــا الأجـــرامَ مكِّـــن[٣]
ولكـــن حكمـــةً أخـــرى تعلـــم وذاتَـــك نـــحِّ عـــن يـــومٍ لتسلـــم[٤]
ودعْ دنيا الدَّياجي والنَّهار يميناً فاطلبن بلا يسار[٥]

***

السُّؤال الرَّابع

أهـــذا محـــدثٌ هجـــرَ القـــديمـــا فكانا الكونَ والباري العظيما
أمعـــروفٌ وعـــارفُـــه ، إلهـــي لم الأشواقُ أرْمَضَتِ الظَّليما[٦]

الجواب

حيـــاةُ الـــذَّات إيجـــادٌ لغيـــرِ وللمعـــروفِ بعـــدٌ كـــلُّ خيـــر[٧]

---

(١) أرسطو صاحب المنطق يمثل الاستنتاج ، وفرانسيس بيكون الفيلسوف الإنجليزي يمثل الاستدلال بالتجربة .

(٢) المعدن : المنجم . واليمُّ : البحر .

(٣) هيمن على الشيء : راقبه وحفظه .

(٤) في الأصل : عني خداع الليل والنهار .

(٥) الدَّياجي : الظلمات ، والمراد بها هنا : الليل .

(٦) يقول : إنَّ المحدث انفصل عن القديم ، فأصبح الأول العالم ، أما الثاني فالله تبارك وتعالى . . وإذا ما كان المعروف والعارف هما ذات الله ، فما الحنين الذي أضنى الإنسان . والظليم : التراب ، والمراد به الإنسان .

(٧) يقول : إن الفراق بين العارف والمعروف خيرٌ عظيم .

قديماً أو مغايره حسبنا ... طلسماً كان حُسْبانٌ ، فخبنا[1]

ذكرنا الأمسَ والغد في دوامٍ ... (فكان) و(سوف) أسٌّ للكلام[2]

وفطرتُنا انقطاعٌ عنه كانا ... سبيلاً قد ضللنا في سُرانا[3]

وليس لنا بفرقته عيارٌ ... وواصلنا ، فدامَ له القرار[4]

بنا وبه ! عجيبٌ ، أيُّ حالٍ ... ففرقتُنا فراقٌ في وصال[5]

فراق يمنح النَّظر الترابا ... وقشَّاً ما به بلغ السَّحابا[6]

وهذا العشق يزكو بالفراق ... مع العشَّاق كانَ على وفاق[7]

تباريح الفراق لنا الحياةُ ... تخلِّدنا ، فيبقينا الممات[8]

مَنِ المولى ؟ ومَنْ إياه يُعبد ... هما سرٌّ يؤيِّدُ أنْ سنخلد[9]

يدومُ له التجلِّي نورُ ذاتٍ ... وبين الجمع معنى للحياة[10]

وتلكَ محبةٌ في الجمعِ تُبصر ... بغيرِ الجمع ذا ما ليس تُبصر

---

(١) مغاير القديم هو المحدث . وحسبه حسباناً : عدَّه وأحصاه . وكان هنا تامة .

(٢) في تفيد معنى المصاحبة . والأس : الأساس .

(٣) السرى : السير ليلاً .

(٤) العيار : ما يكون في الدراهم والدَّنانير من الذهب والفضة يكسبها قيمتها . والمراد به هنا القيمة . واصله : ضد قاطعه وهاجره .

(٥) في الأصل : ليس بدوننا ولسنا بدونه .

(٦) المراد بالتراب هنا الإنسان . وفي الأصل : يجعل القش جبلاً . وفي الفارسية كاه بمعنى : القش ، وكوه بمعنى : جبل .

(٧) زكا : نما وصلح . وفي الأصل : أنَّ الفراق حامل المرأة للعشق . وحامل المرأة يعين على التزين ، وإصلاح المظهر .

(٨) تباريح الشوق : شدَّته وآلامه .

(٩) في الأصل : ما أنا وما هو . وإقبال بذلك ينكر مبدأ فناء النفس الإنسانية في الذات الإلهية ؛ لأنه يتحدَّث عن الفراق والتلاقي ، ويرى الخير كلَّ الخير في اجتماع المحب بالمحبوب .

(١٠) الجمع : الجماعة من الناس .

تجليـــاتُ محفَلِنـــا تـــأمَّـــلْ ... تجلِّـي الله لا الـدُّنيـا تـأمـل[1]

فـــلا الأبـــوابَ أمسكنـــا علينـــا ... ونحـــنُ بـــه بمفـــردِنـــا اختلينـــا[2]

ويجعـــلُ نَفْسَـــهُ عنَّـــا غـــريبـــا ... يُـداعينـا كمعـزفـهِ طـروبـا[3]

وننحـتُ مثـلَ صـورتـه الحجـاره ... ونسجـدُ ، مـا رأتـه العيـنُ ، تـاره

هتكنـــا ستـــرَ فِطـــرتنـــا علينـــا ... جمـالَ حبيبنـا هـا قـد رأينـا[4]

وهـــذا التُّـــرب مـــاجَ بـــه الخيـــال ... فبـــاطنُـــه أضـــاءَ ولا يـــزال[5]

ولكـــن مـــن فـــراقٍ وهـــو يشكـــو ... بفضـــلِ فـــراقِـــهِ تلقـــاه يـــزكـــو[6]

بـــه كـــانـــت لـــه هـــذي البصيـــره ... فهـــذا ليلـــه أضحـــى الظهيـــره

وأنفـــد حـــزنـــه جـــزعُ الصَّبـــور ... ومـــن حـــزنٍ تبـــدَّل بـــالسُّـــرور[7]

وأصبـــح دمعـــه دُرّاً ثمينـــا ... الحـــزن أوَّدتِ الغصـــونـــا[8]

وذاتُـك : إن تعـانقهـا طـويـلا ... تجد في الخلد من موتٍ بديلا !

مقـامـاتٌ لهـا بـالحـبِّ عقـدُ ... ومـا مـن منتهـى يحـدُوه حَـدُّ[9]

تسيـــر لـــه الأمـــورُ بـــلا ختـــامِ ... بـــه الفجـــرُ الضَّحـــوكُ بـــلا ظـــلامِ

---

(١) الحفل : مكان اجتماع المجتمعين .

(٢) أمسك عليه الباب : أوصده . وفي الأصل : أنَّ هذا المحفل يخلو من باب وجدار وقصر .

(٣) في الأصل : أنه يجعل نفسه غريباً عنا تارةً ، ويعزف علينا كآلة الطرب تارةً أخرى .

(٤) هتك الستر : مزَّقه أو جذبه من موضعه .

(٥) الترب : التراب . والمراد به الإنسان الذي خلق من تراب .

(٦) يزكو : ينمو ويصلح .

(٧) أنفد : أفنى . والجزع عدم احتمال الصبر ، يقول : إنه حزن حزناً لا يطيقه حتى الصَّبور .

(٨) أوَّدَه : ثناه وعطفه . يقول : إنَّ للحزن ثماراً طيبة أثقلت الغصون . وهو مأخوذ من نخلة المأتم في الفارسية ، بمعنى النعش .

(٩) في الأصل : أنَّه ربطها في عقدة فهو مقيد ، كما أنه يمضي لا يقف عند نهاية فهو مطلق . يحدو : يسوق . والوخد : سرعة السير .

يغـايـر عقلَنـا وعـرُ الطـريـق ودنيـا كـان فـي وهـج الشـروق[1]
بـآلاف العـوالـمِ قَـدْ مـررنـا على بعضِ التوقف هل قَدَرنا ؟
خلـوداً فـي حيـاتـك يـا مسـافـر وفي موتٍ ، إلى الدَّاني فبادر[2]
وليـس البحـر يغـرقُنـا انتهـاء تعلَّـق فيـه ، مـا هـذا فنـاء[3]
وجودُ الذات في ذاتٍ محال لتصبحْ نفسها ، هذا كمال[4]

السؤال الخامس

أجبني مـن أنـا ؟ وَضِّـح (أنـا) لـي وما في الذات من (شدِّ الرِّحال)[5]

الجواب

بـذاتٍ عُـوذةٌ للكـائنـات وأوَّلُ نـورهـا أصـلُ الحيـاة[6]
وتصحـو مِـنْ رُؤاهـا فـي كـراهـا بكثـرٍ بَعْـدَ واحـدِهـا تـراهـا[7]

---

(١) الوهج : اتقاد الشمس وحرها . وفي الأصل : أنَّه عالم في نور برهة .

(٢) المسافر في اصطلاح الصوفية : هو من سار قلبه متوجهاً إلى الحق . الداني : القريب . بادر : سارع . أي سارع إلى أول وأقرب طريقٍ إليك ، واسلكه .

(٣) لا يريد إقبال للنفس الإنسانية فناءً في الذات الإلهية كفناء القطرة في البحر على أن ذلك قصارى ما ينشد الصُّوفي . ويقول : إنَّ الإنسان إذا تعلق بالذات الإلهية فليس هذا فناء فيها .

(٤) يعني : أن كمال الذات الإنسانية في قدرتها على ضغط كيانها ، حتى إذا اتصلت بالذات الكلية .

(٥) الرِّحال : جمع رحل ، وهو ما يشد على ظهر البعير لركوبه . وشدُّ الرحال كناية عن السفر ، وفي الأصل : (أي معنىً في قولنا سافر في الذات) .

(٦) العوذة : ما يعلق على الإنسان لحفظه من الشرِّ والحَسَد .

(٧) الرؤى : جمع رؤيا وهي الحلم . والكرى : النوم . الكثر : الكثرة . وعند إقبال أنَّ الحياة في تعدد الأناسي على اختلافهم والوحدانية لله .

ونمضي في اتساع ، ماربونا ... ولولا ذاكَ منها ما زكونا[1]
يضمُّ صميمُها في العمق بحرا ... وقلبُ القطرِ موجٌ ما استقرا
تخالفُ منْ بشيمته تَصَبُّر ... وفي ملإٍ لنا تبدو بمظهر[2]
كنارٍ ، والذاتُ لها شَرارُ ... نجومٌ ، سائر وله القرارُ[3]
وراءَ حدودِها والغيرُ تشهد ... وفي الجمع الكبير كَمَنْ توحَّد[4]
تأمَّل في انطواءِ كيف تبدو ... ترابٌ ديسَ ، منه كيف تنمو
تثور وراءَ سترٍ للخفاء ... وتبحثُ في دوامٍ عن رواء
بنارٍ في الضَّميم ثوتْ وقامتْ ... تحاربُ نفسها ، والحربُ دامت
فَمِنْ هذا لعالمنا النظام ... وكالمرآة قد أضحى الرَّغام[5]
ذواتٌ أطلعتها من شعاعِ ... جواهرُ أُخرِجَتْ كانت بقاع
ترابُ الجسم لِلذَّات الحجاب ... وتبدو الشمسُ أطلعها السَّحاب
وتلكَ الذَّات تشرقُ منْ صُدورِ ... بجوهرها التُّراب لنا كنورِ
ومعنى للأنا كمْ قلت بيِّن ... (بذاتك فلتسافرْ) فلتُعيِّن
على صلةٍ بأرواحِ جُسومُ ... فسافرْ كي تحقِّقَ ما تروم[6]
بذلك مولدٌ من غير أمٍّ ... ومن سطحٍ كإمساك بنجم
على خلد حصولك بالتياعِ ... كأنك قد رأيتَ بلا شُعاعِ

---

(١) ربا : زاد ونما ، وما في الشطر الأول شرطية زمانية ، أي تتسع مدة نمونا . وزكا : كربا .

(٢) الشيمة : الفطرة ؛ أي : تخالف من يصبر بطبعه ، فهي لا تستطيع صبراً . الملأ : الجماعة .

(٣) يشبهها كذلك بالنجوم الثوابت والسيارة .

(٤) توحد : انفرد واعتزل .

(٥) الرَّغام : التراب .

(٦) الجُسوم : جمع جسم . تروم : تريد .

وعن أملٍ وعن وجلٍ تناءٍ ... كشقٍّ أنت محدثُه بماءِ[1]

طلسمَ البرِّ والدأماء فاصدع ... وبدرَ التمِّ فلتصدغْ بإصْبَعِ[2]

بأوبةِ مَنْ يطوف بلا مكان ... له الدُّنيا لتحملْ في الجنان[3]

لهذا السرِّ تفسيرٌ محال ... وتنفع فيه عينٌ لا مقال[4]

فما قولي (أنا) وهي الضياء ... وفي ﴿ إنا عرضنا ﴾ ما نشاء[5]

ويرجفُ من سناها الأزهران ... زمانٌ تحتضنه والمكان[6]

مقرٌّ ضمَّها كانَ القلوبا ... لهذا التُّربِ أصبحتِ النَّصيبا[7]

عن الغيرِ افتراقٌ ، وارتباط ... بنفس ضيعةٍ ، وبه اختلاط[8]

خيالٌ في التراب له الكيان ! ... أيحويه الزَّمان أم المكان ؟[9]

سجينٌ ، في قيودٍ ، كيف أفلت ! ... فما الرَّامي وأوهاقٌ تدلَّت ؟[10]

بصدرك مثل مصباحٍ منيرِ ... لك المرآةُ ، فيها أيُّ نور

---

(١) التنائي : البعد . الوجل : الخوف .

(٢) الدأماء : البحر .

(٣) الأوبة : العودة . الجنان : القلب .

(٤) المقال : القول . أي : أنَّ الرؤية بالعين تنفع في معرفة السرِّ لا الكلام .

(٥) قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . والأمانة الطاعة ، وقد عظم شأنها . وحملها الإنسان على ضعفة ولم يفِ ، ولم يراع حقَّها ، فكان ظلوماً ، وبكنه عاقبتها جهولاً . وقيل : إن هذي الطاعة تتمُّ باختيار الإنسان وإرادته .

(٦) الأزهران : الشمس والقمر ، السَّنا : النور ، والسناء : الرفعة . وفي الأصل : أن الفلك يرتعد من سناها ، أو سنائها .

(٧) التُّرب : التراب . وإقبال يسمي الإنسان على الدوام حفنة التراب .

(٨) الضيعة : الضياع ، وبه : أي بالغير .

(٩) الخيال في الفارسية بمعنى النية .

(١٠) الأوهاق : الحبال التي يصاد بها .

عليها أنتَ قد كنتَ الأمينا بإدراكٍ لذاتِكَ كنْ قمينا[1]

السؤال السادس

أهذا الجزءُ عن كلٍّ يَزيد ! وكيفَ البحثُ عنه لمن يُريد ؟

الجواب

وما لِلذَّات مقياسٌ لدينا وأعظمُ ما يلوحُ لناظرَيْنا[2]
من الأفلاك تهبطُ ثُمَّ تَعلو ببحرِ الكون تسقط ثُمَّ تَسمو[3]
فَمَنْ بالنَّفس يملكه الشعور سواها ، أو بلا ريشٍ يطير
حوتها ظلمةٌ والصَّدر نورُ تناءت جنةٌ ، في الحضن حورُ[4]
لها حكمٌ بها الألبابُ تسحر ومِنْ قاعِ الحياةِ أتَتْ بجوهر
خلوداً في الصميم العيش كانا ولكنْ للعيون بدا زمانا
مقامُ الكونِ منها قد تقدَّر وتحفظه بما للعين يَظْهَر
أتسألُ عن طبيعتها وتسأل وعنها ما بقدرٍ ليس يفصل
وماذا عَنْ طبيعتها لقائل فجير ظاهر والضدُّ ماثل[5]
فما قولي ؟ وفي قول النَّبي بذا الإيمانِ في قولِ جلي[6]

---

(١) القمين : الجدير .

(٢) الناظران : العينان . يقول : إنَّ الذَّات أعظم ما نرى ، وإن كانت الرؤية ليستْ بالبصر .

(٣) تسمو : تعلو .

(٤) تناءت الجنة : بعدت .

(٥) المراد بالضد هو الاختيار . ماثل : قائم . وفي الأصل أنَّ الاختيار داخلها .

(٦) قيل : إن جبريل مضى إلى النبي عليه الصلاة والسلام في هيئة رجل وسأله عن الإيمان فقال له : هو أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وبالقدر خيره وشره .

وما للخلقِ عندك غير جَبْرِ ... وَمِنْ بعدٍ ومنْ قربٍ بأسر
وتلك الروحُ منْ نفسِ الإله ... بخلوتها تلوح بلا اشتباه[1]
وهذا الجبرُ وهمٌ أو ظنون ... بغير إرادةٍ روحٌ تكون ؟![2]
تصول بعالمٍ لِلْكَيْفِ والكَمْ ... وعن جبرٍ إلى المختار تُقْدِمْ[3]
وذاكَ الجبرُ منه إنْ أفاقتْ ... لها الدُّنيا كتلكَ النوقُ ساقتْ[4]
برغبتها خفوقُ النَّجمِ واجبْ ... برحمتها تلألأتِ الكواكبْ[5]
تميط السِّتْر عما أضمرته ... وجوهرها بِعَيْنيها رأته[6]
وأهل النُّور قد وقفوا طويلا ... أرادوا أن يروا وجهاً جميلا[7]
ومِنْ كرْمٍ لها خمر الملائك ... وكان عيارها تراباً كذلك[8]
تقولُ : وهل إليها من سبيل ... إذاً أوردْ مقاماً لِلْعَويل
لكَ الأيامُ فاجعلها خلودا ... ونُح في الفجر ، عقلُك لن يفيدا
لهذا العقلِ منْ حسٍّ صدور ... ومِنْ عشقٍ نحيبُ الفجرِ نور
لعقلٍ جزؤه ، للنَّوح كل ... ونوحٌ دام ، ما إنْ دام عقل
وذاك العقل ما وسع الخلودا ... من الأنفاس ما يحصى عديدا[9]

---

(١) أي أنَّ الروح في خلوتها مع الله تبدو في كل مظاهرها بجلاء .

(٢) كان هنا تامة .

(٣) صال : غلب وقهر ، في الأصل أنها تغير على عالم الكيف والكم . وتمضي من الجبر إلى الاختيار .

(٤) في الأصل : أنَّها إذا نفضت عنها غبار الجبر ساقت عالمها كما تسوق الناقة . والنوق جمع ناقة .

(٥) خفوق النجم : اضطرابه . وفي الأصل أنَّ السماء تدور بإذنها .

(٦) تميط : تزيح وترفع .

(٧) أطلقنا أهل النور على النورانية ، وهم طائفة من الملائكة .

(٨) الكرم : شجر العنب . والملائك : الملائكة . والعيار ما يضاف إلى الدنانير والدراهم من ذهب وفضة . والمراد قيمتها . والترب : التراب ، فهي تستمدُّ قيمتها من ترابها .

(٩) في الأصل : إنَّ أنفاسنا تحصي الساعات كعقرب الساعة . والعديد : العدد .

بخلقِ الليلِ يُشْغَلُ والنَّهار ... ومنْ نارٍ له بعضُ الشَّرار[1]
قصارانا نواحُ العِشْقِ كانا ... وتحوي برهةٌ منه زمانا
وذاتٌ إن بدا المعروف عنها ... لحلَّت عقدةً في العمق منها[2]
لعينك مثلها هذا الضياء ؟ ... وتحسبُ أنْ سيدرِكُها الفناء
فكيفَ تخافُ منْ ريبِ الفناء ... إذا نَضِجتْ ، فعنها الموتُ نائي
وموتاً غير هذا خاف قلبي ... وروحي بل وماءٌ لي وتربي
سكون الخَفْقِ في شوقٍ أليم ... وإبعادُ الشَّرارِ عن الهشيم[3]
وأنفسَنا بأيدينا نُكَفِّن ... وموتٌ جاءنا نلقى بأعين
فوتُك كامنٌ لك في الكمين ... تذكَّر ، واخشَ عادية المنون[4]
بجسمك كان حفرٌ للحفير ... ومنكرٌ فيه جاوره نكير[5]

السؤال السابع

ومنْ عبر السبيلَ ومَنْ مسافرْ ... ووصفُ كمالِ منْ في ذكرِ ذاكر ؟

* * *

الجواب

أطلْ نظراً على قلب تردد ... بصدركَ منزلٌ ، إيَّاهُ فاشهد[6]

---

(١) يقول : إنه لا يأخذ الشعلة بل شرارها .
(٢) المراد بالمعروف عنها العظيم من قدرتها .
(٣) يقول : إنَّ الموت الحق الذي يرهبه هو عدم العشق ، والهشيم : ما يبس وتكسر من النبات .
(٤) المنون : الموت .
(٥) منكر ونكير : اسم ملكين يحاسبان الناس في القبر ، والحفير : القبر .
(٦) المنزل : مكان النزول ومرحلة من المراحل التي ينتهي إليها سالك طريق التصوُّف .

وفي حَضرٍ بذلك تلكَ سفرهْ ... ومن ذاتٍ إلى ذاتٍ ، بخطرهْ[1]

فأين مقرُّنا يا ليتَ شعري ... وما لحنا لشمسٍ أو لبدرِ

ومالك غايةٌ ، لا تبغ غايهْ ... فروحُك تنتهي عند النهايهْ

بنا نضجاً ظننتُ وما نضجنا ... نقصنا في المنازل أو كملنا

وفي عدم الوصول لنا الحياةُ ... بسفرتنا تحشَّانا الممات[2]

تجوُّلنا برحبِ الأفقِ كانا ... وطئنا ذا المكانَ وذا الزَّمانا[3]

لغبنا ، حولَ أنفسنا ندورْ ... بقاعِ الكون موجتُنا تثور[4]

ودوماً كنْ لذاتكِ في الكمين ... ومن شكٍّ ففرَّ إلى اليقين

وما لأجيجِ عِشْقٍ من فناء ... ونظرةُ ذي اليقين بلا انتهاء[5]

كمالاً نظرة كانت بذات ... وذلك بالخروج عن الجهات[6]

بذات الحقِّ تخلو آنذاكا ... ترى مولاكَ والمولى يراكا[7]

---

(١) الحضر : ضد السفر . الخطرة : ما يلوح في الفكر . ومن معاني السفر : السير إلى الله من منازل النفس حتى يصل العبد إلى مقام القلب .

(٢) السفرة : المرة من السفر . والباء هنا للسببية . تحشاه : استثناه . يقول في الأصل : إن هذا السفر لنا حياةٌ خالدة .

(٣) الرحب : السعة . والمراد بالمكان والزمان هذا العالم بأسره . وفي الأصل مجالنا من السمكة إلى القمر . وهما في الفارسية ما هي وماء . كما قال إن الزمان والمكان تراب طريقنا .

(٤) لغبنا : تعبنا .

(٥) أجيج النار : شدة اشتعالها .

(٦) المراد بالجهات : العالم أجمع .

(٧) عند إقبال أنَّ هذا ما تبلغه الذات في أوج كمالها حتى في اتصالها المباشر بالذات المحيطة بالكل . جاء في سورة النجم عما شاهده ﷺ ليلة المعراج : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] أي : إنَّ بصره أثبته ما رأى إثباتاً صحيحاً مستيقناً ، فما عدا عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها .

ومن المفسرين من قال باستحالة تلك الرؤية كما أنَّ منهم من أجازها لأن موسى =

بنـور فلتنـر مِـنْ ﴿ لـن تـرانـي ﴾ وإن أغْمَضْتَ عينكَ أنت فانِ[1]
بـذاتِـك كـنْ قـويـاً فـي حضـوره حـذارِ مـن الضَّيـاعِ ببحـر نـوره[2]
وممَّـا مـاج فيـك لتعـط ذرَّه بجـانـبِ شمسنـا لتنيـر مـرَّه
تحـرَّق حيـث يبـدو فـي جـلاء وأظهـرْ منـك ذاتَـك فـي ضيـاء[3]
بـرؤيتـه ، لعـالمنـا إمـام لـه لا للـورى كـان التَّمـام[4]
وإيَّـاهُ اطلبـنْ إذا افتقـدْتـه بفضـلِ ثيـابـه خـذْ إنْ وجـدْتـه[5]
ولا تمـدُدْ إلا المـلأ يمينـا ولا تُغْمِضْ عن الشَّصِّ العُيونا[6]
لأمـرِ الـدِّيـن والـدُّنيـا إمـامُ هـو الـرائي ، وقـد عمي الأنـام[7]
كمثـلِ الشَّمـسِ تُشْـرِقُ فـي الصبـاحِ لـديـه شمـوسُ أفكـارٍ صِحَـاحِ
وغـربـيٌّ لـه حكمـاً أقـامـا عـن الشَّيطـان قـد خَلَـعَ الـزِّمـامـا
بغيـر العـزفِ ليـس لـه غِنَـاءُ حـوتـه بمـا يطيـر بـه السَّمـاء[8]
ومـن بستـانـه الصحـراءُ أجمـل مـدينتَـه فـدغْ ، فـالفقـرُ أفضـل

= طلبها .

(١) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

(٢) هذا صريحٌ في دَلالته على أنَّ إقبالاً لا يأخذُ بمذهب الفناء في الذَّات الإلهية .

(٣) يقول : أنر ذاتك عياناً وذاته في الخفاء .

(٤) الورى : الناس . والمراد هنا بالتَّمام : الكمال .

(٥) أخذ بفضل ثيابه : تمسك بما يمسكن التمسُّك به منها .

(٦) الملأ : هو الشيخ الذي لا يفقه الدين على ما ينبغي . الشَّص : الحديدة التي تؤخذ بها السمكة . يقول : إنَّ مثل هذا الشيخ يخدعك ، كما تُخْدعُ السَّمكة بالشصِّ لتصاد .

(٧) الأنام : النَّاس .

(٨) يقول : لا غناء ولا صدى عند الغرب إلا بالمعازف ، ولا يطير في السماء إلا بطائرة صنعها . وهذا من الدليل على إغراقه في المادِّية .

ن السـرَّاق شـرذمـةٌ تغيـر ... وراء الخبـز طـالَ بهـا المسيـر[1]
ـا جسـمٌ وللـرُّوحِ السُّبـاتُ ... مـع الـدِّيـن الفنـونُ محقـراتُ[2]
دى الكفَّـار زاد الكفـر عقـلُ ... ولـلإنسـان عنـد الغـرب قتـلُ
ـذا راصـدٌ ولـذا الكميـنُ ... إلهـي ! كـنْ لهـم نِعْـمَ المعيـنُ !
مـا شئـتَ بلِّغهـم كـلامـي ... نظـامُ الحكـمِ كـالسَّيـفِ الحُسَـامِ[3]
ى هـذا الحسـام الـروحُ تجـري ... يصولُ على الرقاب وليس يدري[4]
ليدخل ذلك الصَّمْصامُ غِمْدَه ... وإلا أهلـكَ الإنسـان بَعْـده[5]

السؤال الثامن

أتعرف ما تضمَّنه (أنا الحقُّ) ... أتحسبه هراء حين ينطق[6] ؟

الجواب

ـاود عنـه قـولًا لـي يطـولْ ... وعنـد القـوم سـرٌّ مـا أقـول[7]
قتـه مجـوسـيٌّ أشـاعـا ... (حيـاة بـالأنـا خـدعـت خـداعـا)

السُّرَّاق : جمع سارق . والشرذمة : الجماعة من الناس .
السبات : النوم . في الأصل : الدين والفن والعلم . وأطلقنا الفنون على العلوم والفن .
السيف الحسام : القاطع . يقول : إنَّ هذا نظام الحكم في بلاد الغرب .
يصول : يثب . وفي الأصل : إنَّ هذا السيف لا يميز في الضرب بين مسلم وكافر .
الصمصام : السيف . يريد له أن يستقرَّ في غمده ؛ لأنَّه يقتل نفسه بقتله الناس .
أنا الحق : قول منسوبٌ إلى الحلاَّج ، ذلك الصوفي الذي كان يتجوَّل في الأسواق ، وقد غلب عليه الوجد والطرب ، وحرص على الدَّعوة إلى آرائه وتعاليمه التي خرجت على مألوف القوم في زمانه ، فبلغت من أهل الدين مبلغاً شديداً ، واتهموه بالحلول والكفر ، وأفتوا بقتله ، فصلب في بغداد سنة ٣٠٩هـ . وإقبال يرى في الحلاَّج رأياً آخر يناقض رأي قومه ، ويعانده . ولذلك انبرى للدِّفاع عنه في عديدٍ من تآليفه .
عاود الشيء : عاد إليه . والمراد بالقوم هنا أهل إيران والهند .

سبـــات الـــربِّ فيـــه الحلـــمُ كنَّـــا ... وهـــذا الحلـــمُ مِنْـــهُ قـــد خُلِقْنـــا ![1]

ولـــولاهُ لمـــا وُجِـــد المكـــان ... بمـــا يحـــوي ولا وُجِـــدَ الـــزَّمـــان

هـــو العقـــلُ المميـــزُ بـــلْ هـــو القلـــبُ ... هو التَّفكيرُ والتَّصديقُ والرَّيب[2]

وفـــي الأحـــلام تُغْـــرِقُ نـــاظـــريكـــا ... وأقـــوالًا وأعمـــالًا لـــديكـــا[3]

وبـــاستيقـــاظـــه يفنـــى الجميـــع ... فَمَنْ شوقاً سيشري أو يبيع[4]

لـــديـنـــا العلـــمُ نـــورٌ بـــالقيـــاس ... وتعـــويـــلُ القيـــاسِ علـى الحـــواس[5]

تغيُّـــر حسَّنـــا ســـبـــبُ التغيُّـــر ... لعـــالمنـــا ، فيشملنـــا التطـــوُّر

فمـــا مِـــنْ حـــولنـــا ريـــحٌ ولـــون ... ولا يبـــدي لنـــا الآثـــارَ كـــون[6]

وهـــذا كلُّـــه وهـــمٌ عجـــاب ... علـــى وجـــهٍ لخـــالقنـــا حجـــاب

وخـــدعـــةُ حسَّنـــا لا ريـــبَ فيهـــا ... دخلنـــا مـــنْ خِـــدَاعِ الحـــسِّ فيهـــا[7]

فمـــا ذاتٌ لنـــا فـــي الكـــائنـــات ... بـــذاتِ حسَّنـــا قطـــعُ الصِّـــلات

حـــريـــمُ الـــذَّات مـــا بَلَغَتْـــهُ نظـــره ... تشـــاهـــدهـــا بـــلا نظـــر ، بخطـــره[8]

لهـــا يـــومٌ بـــلا فلـــكٍ يـــدور ... تـــأمَّلهـــا فمـــا شـــكٌّ يثـــور[9]

إذا سمَّيـــتَ تلـــكَ الـــذَّاتِ وهمـــا ... كمظهـــرِ أيِّ شـــيءٍ قلـــت حتمـــا

معـــي قـــل : مـــن تخـــامـــره الظنـــون ... تـــأمَّلْهـــا ، لتعـــرفَ مَـــنْ يكـــون

---

(١) السبات : النوم . يقول : إن هذا الكون وما فيه حلم رآه الله في سباته . وهو ينسب هذا إلى المجوسي ؛ لأن الله جل جلاله لا تأخذه سنةٌ ولا نوم .

(٢) يقول : إن العقل والقلب هما هذا الحلم .

(٣) الناظران : العينان .

(٤) يشري : يشتري .

(٥) التعويل على الشيء : الاعتماد عليه .

(٦) الريح : الرائحة . وطالما سمَّى إقبال العالم عالم الرائحة واللون .

(٧) التيه : الصحراء التي تاه فيها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر .

(٨) الحريم : ما يحيط بالبناء كالحرم . الخطرة : الفكرة .

(٩) يقول : إنَّ أيامها ليست زماناً يحسب بدوران الفلك .

ـــالمنـــا تـــرى ؟ أورد دليـــلا بفكـــرك كـــانَ ذلـــكَ مستحيـــلا[1]

ـــد خفيـــت ، دليـــلاً فـــاطـــرحـــن تفكَّـــرْ ، ذلـــكَ الســـرَّ اكْشِفَـــنْ

ـاهـــا الحـــق مـــا فـــي ذاكَ بـــاطـــلْ لهـــا أكـــلٌ ، فـــأيقـــنْ لا تجـــادلْ[2]

ـا نَضِجَـــتْ ، لهـــا امتنـــع الـــزوال فـــراقُ العـــاشقيـــن هـــو الـــوِصـــال

ـنـــاحٌ لـــو حبـــوت بـــه الشَّـــرارا لخلَّـــد فـــي الخفـــوقِ بـــه وطـــارا[3]

ـــا أبـــلاه ربـــي مـــا الخلـــود ببحـــثٍ ليـــسَ هـــذا مـــا يُـــريـــد[4]

ـــروح طـــابَ خلـــد ، تستعـــارُ ويَثْمَلُهـــا مـــن العِشْـــق العُقَـــار[5]

ـــا للطَّـــودِ والـــوادي البقـــاء ! ستبقـى الـذَّات ، للـدُّنيـا الفنـاء[6]

ـن المنصـورِ مـا جـدوى الكـلام ؟ بـذاتِـكَ فـاطلبـنْ ربَّ الأنـام[7]

بذاتِك ضعْ ، ودعْ عنك الجِدالا وحقَّقها بمـا الحـلاجُ قـالا[8]

السؤال التاسع

وسـرَّ الـوَحْـدَة الخـافـي أتـدري أيعلمُ عارفٌ يا ليت شعري ؟![9]

---

(1) يقصد أنَّ العالم ظاهر لنا ، إلا أنه مع ذلك في حاجة إلى دليل ، وهو ما يعجز حتى فكر جبريل .

(2) الأكل : الثمر والرزق الواسع .

(3) حباه : أعطاه .

(4) أبلى في ذلك بلاء حسناً : أظهر قدرته فيه . والمقصود هنا عمل . وفي الأصل أن خلود الله ليس جزاء على عمله ، لأن هذا الخلود ليس له بالبحث والطلب .

(5) يثمل : يسكر . العقار : الخمر .

(6) الطود : الجبل . يقول أي قيمة لبقاء الجبال والوديان ، فالبقاء للذات وللدنيا الفناء .

(7) المنصور : هو الحلاَّج . وقد ذكر إقبال معه من يسمى « شنكر چربا » وهو مفسر هندي لكتاب من كتب الهند المقدسة . الأنام : الناس .

(8) دع عنك : اترك وأهمل .

(9) العارف : العالم ، والحكيم ، والصُّوفي في ذروة المعرفة .

الجواب

مقـــامٌ تحـــت قُبَّتهـــا يطيـــب ... وفيهـــا النَّيـــرانِ إلـــى مغيـــب ![1]

ونعـــشُ الشَّمـــسِ يحملـــه المســـاء ... كـــواكبُـــه لهـــا الكفـــنُ الضيـــاء

كمنهـــالِ الـــرِّمـــال هَـــوَتْ جبـــالُ ... لهـــذا البحـــر بعـــد الحـــالِ حـــالُ

علـــى الأزهـــار عـــاصفـــةٌ تثـــور ... ورعـــبٌ للقـــوافـــلِ مـــن مغيـــر

وإنْ بـــالـــدُّرِّ زان الطَّـــلُّ زهـــرا ... فبـــاقٍ تـــارةً ليـــزولَ أخـــرى[2]

بغيـــر سمـــاعهـــا الألحـــانُ تفنـــى ... وتلقـــى النَّـــار فـــي الأحجـــار دفنـــا[3]

حمـــامٌ عنـــه تَسْـــآلٌ أيجـــدي ... مـــن الأنفـــاسِ قُيِّـــدنـــا بقيـــد[4]

***

غزل

لنـــا الكـــاســـاتُ دارتْ بـــالفنـــاء ... وقـــد ذُقنـــاه مـــن دانٍ ونـــائـــي[5]

---

(١) المراد بهذي القبة قبة السماء. وبالنيرين: الشمس والقمر، ولهما المغيب بعد ظهورهما.

(٢) الطلُّ : النَّدى . وهذا النَّدى يبقى تارةً ثم يزول تارةً أخرى .

(٣) يقول: إنَّ الألحان التي لا تسمع تموت في قيثارتها، كما تموت النَّار الكامنة في الحجر.

(٤) الحمام : الموت ، والتَّسآل : السؤال .

(٥) الغزل عند الفرس منظومةٌ ذات رويٍّ واحدٍ لا تقلُّ أبياتها عن سبعة ولا تزيد على خمسة عشر ، وموضوعها الغزل وغالباً ما تتضمن المعاني الصُّوفية . والشاعر يلتزم في البيت الأخير منه ذكر لقبه الشعري . وإقبال لا يلتزم شروط الغزل في هذي المنظومة .
دارت الكأس : تناولها الشاربون الواحد تلو الآخر . يقول الشاعر : إننا جميعاً نلقى الفناء .

تسمَّى ساحةٌ قد جال فيها ... بدنيا ، مِنْ نجومٍ في ضياء
بها إنْ ذرةٌ أبدتْ نِفَارا ... فرُقْيَة نظرةٌ كلَّ الغَناء[1]
أتطلبُ أن يقرَّ لنا قرارٌ ... بنا الأيامُ تجري جريَ ماء
شغاف القلب فاحفظ فيه ذاتاً ... وكوكبها سراجٌ للمساء[2]
هي الدُّنيا مقامُ الآفلينا ... وذا العرفانُ عند العارفينا[3]
بقلبٍ باطلاً ما إنْ أردنا ... وهذا الحزنُ منه قَدْ أفدنا[4]
هنا الرغباتُ ما هم يَرْمقونَهْ ... وبهجةُ شوقِهم ما يَطْلبونَهْ[5]
وفي الإمكان تخليدٌ لِذات ... وجعلُ الوصلِ منْ هذ الشتات[6]
ومصباحٌ بِزَفْرَتنا تألَّقْ ... بإبرتنا سماءٌ سوف تُرْتَقْ[7]
لدى القيُّومِ ذوقٌ للكلام ... تجلَّى في جموعٍ للأنام[8]
فَمِنْ برقِ التجلِّي كان فيه ... وذاكَ الجامُ مَنْذَا يحتسيه[9]

---

(١) الرقية : ما يقرأ على المسحور ليزول عنه أثر السحر . والغناء : الكفاية . وتكفي نظرة تبطل هذا النفار ، كما تبطل الرُّقية السحر .

(٢) شغاف القلب : غلافه ، والسراج : المصباح .

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] وأفل النجم : غاب . وهذا في شأن إبراهيم عليه السلام الذي لم يحبَّ عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حالٍ ؛ لأنَّ مثل هذا التغيُّر من صفات الأجسام .

(٤) أفاد : استفاد .

(٥) يرمق : ينظر ويطلب .

(٦) الشتات : التفرق .

(٧) رتق الفتق : سدَّه .

(٨) القيوم : من أسماء الله الحسنى ، وهو بمعنى الباقي . وفي الأصل : الله الحي . الجمع : الجماعة . والأنام : الناس .

(٩) الجام : كأس الشراب . احتسى : شرب . وفي الأصل : من قدحَ برق التجلِّي في قلبه ، وشربَ تلك الخمر ، ثم ضرب رأسه بالكأس .

لِمَنْ قلبُ عيارِ الحسنِ منه ... وطافَ ببيتِ من ؟ ما زال عنه[1]
(ألستُ) لخلوةٍ قد صعَّدَتْها ... (بلى) أيُّ المعازفِ ردَّدَتها[2]
لعشقٍ أيُّ نارٍ في التراب ... وحرَّق لحننا كَمْ منْ نِقَاب[3]
تدورُ الكأسُ ، لكنْ ما بقينا ... بمحفلهِ الحياةُ غَدَتْ رنينا[4]
لعزلته فؤادي قد تحرَّق ... أهيىء محفلاً ما إنْ تفرَّق
وأنثرُ حبةً في الأرضِ ذاتي ... له قد صُنْتُ لا لِسَواهُ ذاتي !

الخاتمة

لِيُشْهَرْ منك ذيَّاك الحُسام ... بعمدكَ لا يطيبُ لك المقام[1]*
وتملكُ قدرةً فارفعْ نقابا ... تنلْ شمساً وبدراً والسحابا
دُجَاك أنرْ بأنوارِ اليقين ... يداً بيضاءَ أظْهِرْ لِلْعُيون[2]*
وعينَك فافتحنَّ على فؤادِك ... من الشَّرر الثُّريَّا في حصادِك[3]*
ومن قلبي لتقتبسِ الشرارا ... أنا الروميُّ إمَّا شئت نارا[4]*
وإلَّا ، نارَ غربٍ خذْ وحاذِرْ ... ومُتْ في القلبِ كي تحيا بظاهرْ

---

*(١) شهر السيف : أخرجه من غمده . الحسام : السيف .

*(٢) الدُّجى : الليل . واليد البيضاء : المشعة . قال تعالى في سورة طه : ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه : ٢٢ ـ ٢٤] .

*(٣) الشرر : جمع شررة وهو ما يتطاير من النار كالشرار . والحصاد : الزرع . في الأصل . من فتح العين على قلبه ، نثر الشررة ، وحصد الثريا . والثريا مجموع كواكب تشبه بالعنقود والسنبلة في الشعر الفارسي .

*(٤) الرومي : هو جلال الدين الرومي من أهل القرن السابع الهجري أكبر وأشهر شعراء التصوُّف عند الفرس ، وصاحب كتاب المثنوي الذي يعد أعظم الكتب أهمية في التصوُّف الإسلامي . وإقبال يردد ذكر الرومي في كتبه ، وينظر إليه نظرة المريد إلى

---

(١) العيار : ما يضاف من ذهبٍ أو فضةٍ إلى الدينار والدِّرهم . زال عن المكان : غادره . وفي الأصل : بمنزل من يطوف قمره .

(٢) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] والشاعر يسأل عن الخلوة التي ذكرت فيها ألست ، والمعزف الذي ردَّد لحنها .

(٣) التراب هنا هو الإنسان .

(٤) ما بقينا : ما دمنا باقين . بمحفله : أي بمحفله الله .

رسالة العبودية

ترجمة نصبة كاملة

(بندگی نامة – لمنظومة إقبال)

عبودية

ر المضيء للعالم ربه قائلا: إن نوري يحيل الليل نهارا!

أيام التي كنت فيها نائما في ضمير الزمان، بغير ليل

ة كوكب في سوادي، ولم يكن الدوران من طبعي !

الصحراء مرآة من نوري ولا اكتسى الدر، وما وقع هياج لجمالي !

ن سحر الوجود وفتنه هذه ! وويلي من هذا الإشراق

الإشراق من الشمس وأنرت (دنيا) مترتبة ميتة. متربة (لكنها) بغير فراغ، جبينها من العبودية قد تشوه!

د اصطيد كالسمك، إذ هو آدمي جاحد لله، عابد للآدمي!

ي أسير الماء والطين، أخجلتني من الطواف حوله !

الم غير مطلع على نور الروح وليس جديرا بالشمس !

لفضاء النيلي اللون، واقطع وشائجنا نحن النوريين عنه!

من خدمته، أو أوجد من ترابه آدم آخر !

عيني المتفتحتين أن تكونا معتمتين عمياوين، والأفضل ن تكون هذه المتربة بغير نور !

موت في الجسد بالعبودية، وتستحيل الروح عبئا على بودية.

يحل ضعف الشيخوخة في الشباب، وبالعبودية تسقط أسد الغاب.

يتفرق محفل الأمة فردا فردا ويكون هذا وذاك في هذا وذاك.

ك في سجود، وهذا في قيام، وتمسى أعمالهم وأعبلؤهم بلا أمام.

ويتصارع كل فرد مع فرد آخر، ويكون لكل فرد في كل زمان ألما آخر.

وبالعبودية يربط رجل الحق الزنار، وبالعبودية يصبح جوهره زائفا !

ويتعرى غصنه عن الأوراق بغير مهركان (يريد وقت أن يحل فصل الخريف) ولا تكون في روحه سوى خشية الموت !

ويضحي بلا ذوق، فيظن الحمة ترياق، وهو ميت بغير موت، ونعشه على الكتف !

لقد ضيع ماء وجه الحياة، وقنع كالحمير بالتبن والشعير !

فانظر إلى ممكنه ومحاله، وانظر إلى حركته ومكوثه شهورا وسنين !

إنهم أياما في مأتم الواحد منهم بعد الآخر

وفي الوفاء بالوعد أقل من دقائق الساعة !

أرض بور تعج بحمى العقارب، نملها يلدغ التنين ويصطاد العقارب !

صرصرها نار من جهنم، ولزورق ابليس (فيها) ريح المراد ! نار تدور في الهواء، تتثنى شعلة في شعلة !

نار من دخان متثن كلها مرارة ! نار شديدة الرغوة، تهيج البحار!

على شفيرها الحيات في عراك، حيات ذات أصلال ناثرة للسلم !

شعلتها عضوض مثل كلب عقور، مهولة، حارقة للأحياء (لكن) نورها منطفئ !

وإن تكون لمئات من الزمان في مثل صحارى البلاء هذه لأطيب من أن تكون (عبدا) محكوما لحظة واحدة !

في بيان الفنون الجميلة للغلمان

الموسيقي

هنالك مهالك في فنون العبودية، فماذا أقول عن دمدمة العبودية ؟!

إن نغمتها خالية من حرارة الحياة، لكنها تأتي على جدار الحياة كالسيل.

إن قلب الغلام أسود سواد عارضه، ونغماته رديئة رداءة طبعه !

فقد ذهبت الحرارة عن قلبه المتجمد، وذهب عنه ذوق الغد ولذة اليوم.

وكشف نايه من أسراره وموت أهل البلد في معزافه.

فهو يجعلك عاجزا مولود، ويجعلك نافرا من الدنيا.

إن عينيه تكتحلان بالدموع المتوالية، فلتنأ ما أمكنك عن دنيا الحانه.

هذه النغمة ليست إلا الموت، والعدم وحده في كمـــوة

عطش، فليس في هذا الحرم زمـــزم، وإنمـــا هـــلاك
خفض صوته ورفعه.

ب القلب عنه، ويغشيه غماً، ويقدم السم فـــي أقـــداح

أخي، قسمان، فاصغ إلينا واجعل شعلتنا سراجاً لعقلك!

دمي، وغم يأكل كل غم !

ثاني الذي هو رفيقنا، أضحت روحنا بصحبته بغـــير

الغرب والشرق بحر، جملة الموجدات فيه غرقـــي !
بقلب يصبح القلب منه بحراً بلا شاطئ !

فهي تغافل عن أسرار الروح، تؤدي أنشودتها بذلـــك
لى الضلال.

أني لا أقول أن نغماته خاطئة،

العويل لا يليق إلا بالأرامل !

م ينبغي أن يكون سريعا كالسيل، ليزيل الغموم عـــن
عد فرقة.

خلق النغم الجنون، ويحل النار في دماء القلب. ومـــن
كاء الشعلة، ويمكن أن يكون الصمت جزءا منه.

في الغناء ذلك المقام، الذي يجري فيه الكـــلام بغـــير

واضحة سراج للفطرة، يكون معناها نقاش الصورة.

ت لا أعرف من أين ينبـــع المعنـــى، إلا أن صورتـــه
معروفة لدينا.

ن لم يكن لها معنى، تكون ميتة ولهيبها يكون من نـــار

لمعنى قد حلها المرشد الرومي، ولذا يسجد فكري على

ذلك الذي يجذبك، ويجعلك في غنى عن النقش، وليـــس
الذي يجل المرء أعمى أصم، وأكثر عشقا للنقوش)).

لكن مطربنا لم يدرك جلاء المعنى

فعلق قلبه بالصورة، وفر من المعنى !

التصوير

لقد رأيت فنا من التصوير، ليس إبراهيميا ولا آزريا: ((راهـــب في حلقة شباك الهوى. متيم مع طائر في القفص. ملك أمام فقير مرتديا الخرقة. رجل من الجبال يحمل حطبا.

عاشق في الطريق إلى بيت الصنم. جوكي (راهب) فـــي خلـــوة الخراب.

شيخ يحترق بالآلام الشيخوخة فيتحول الطين فـــي يـــده ســـراجا. مطرب ثمل بنغمة غريبة. بلبل صدح فتقطعت أوتاره.

شباب غض يصاب بنظرة واحدة. طفل على كتف الأب الشيخ)).

وتقطر من الأقلام مضمون الموت، وفي كل مكان أسطورة الموت ودمدمته !

إن العلم الحاضر في سجود لدى الأقل، فإنه يزيد الشـــك ويزيـــل اليقين من القلب.

وليس من لذة للتحقيق بغير يقين، ولا قوة للتخليق (طاقـــة للخلـــق بغير يقين، ولا قوة للتخليق (طاقة للخلق) بغير يقين.

وتدرب الرعشات في القلوب بغير يقين، ويشكل عليها تقبل النقـــش الجديد.

فيكون بعيدا عن الذات ومتألما وحسب، ويكون مرشده هـــو ذوق الجمهور وحده.

إنه يستجدى الحسن من الفطرة، وهو قاطع طريق، لكنه يتظـــاهر بأنه خاوي اليدين.

إن البحث عن الحسن في خارج ذاتك خطأ فإن ذلك الذي ينبغـــي أن يكون، أليس هو أمامنا ؟!

إن النقاش عندما يودع ذاته لدى الفطرة، يســـقط نقشـــه ويمحـــو صورته.

فلم يبرز لون من لدنه زمانه، ولم يضرب محكمه على زجاجنـــا مرة.

وبقيت الفطرة في الطيلسان ذات الألوان الســـبعة.. بقيـــت علـــى قرطاسه عرجاء زمنة !

والفراشة (التي يرسمها) غير خافقة بسبب قلة اشتعاله، والصـــورة التي يرسمها اليوم لا تعكس صورة الغد.

وليس لنظراته نفوذ في الأفلاك لأن قلبه في صدره غير مبال.

فهو مترب، بلا حضور. خجل، ليس له نصيب من صحبة الروح الأمين.

وفكره معدم ! ولا ذوق يحركه. وليس لصيحة اسرافيله قيامة.

ي قد عد نفسه في عداد الطين لا نطفأ نور الإله في

ع الكليم (موسى) عن ذاته، أصبحت يده مظلمة وعصاه

ياة بغير قوة الإعجاز، وليس كل فرد عارفا لهذه

ان الذي يزيد على الفطرة فيكشف أسراره أمام

يكن بحره في احتياج، (إلا أن) نهرنا هو الذي يصل

جذب من بساط الزمان ثنياته، وهو الذي ينال منه كل

ل من حور الجنة: ومنكراته ومناته كافر !

خلق الكائنات الأخرى ويهب القلب حياة أخرى. وهو
م بحره وموجه ويطرح موجه أمامنا الدر. ومن سعة
شأنه كل فراغ. إن فطرته الطاهرة عيار للجميل
صنعته مشاطة لكل حسن وقبيح.

راهيم وعين آزر، فيده تهدم الأصنام وتصنعها. وهو
اء قديم، ويصقل جملة الموجودات. وفي العبودية

د خلوا من الروح. وأي أمل أفضل ترجوه من جسد

لإيجاد والتجلي يذهب من القلب، فيغفل الآدمي بذلك

لت جبريل غلاما، لذهب عن القبة البلورية اللون !

هية تقليدا وعمله أزريا، وتكون الندرة في مذهبه كفرا!

م والشك في كل جديد عليه، فيقبل على كل قديم

عينه وصار أعمى عن المستقبل، عندما تجاور رزقه
افن !

ذا هو الفن ! فإنما هو موت الأمل: باطنه كريه وظاهره

إن الطائر العاقل لا يق أسيرا،

ولو وضعت له شباك من الحرير !

مذهب الغلمان

بين العشق والمذهب في العبودية فراق، وشهد الحياة فيها شيء المذاق !

والعشق؟ ختم التوحيد على القلب، وموجهة كل مشكل يقابلك.

وليس العشق في العبودية سوى كلام، فلا يصاحب عملنا قولنا.

إن قافلة الشوق بغير ذوق الرحيل

وبغير يقين وبغير سبيل وبغير دليل !

إن الغلام يفرط رخيصا في الدين والعمل ويسلم الروح ليبقى على البدن حيا !

وهو وإن كان اسم الإله على شفتيه، إلا أن قبلته هي طاقة صاحب الأمر.

إنها طاقة مشرقة اسمها الكذب، فلا تلد بطونها إلا الأكاذيب.

وهذا الصنم إذا سجدت له يكون إلها، فإذا اتجهت في القيام للواحد، يكون له الفناء.

وذلك الإله (الحق) يمنح العيش والروح، وهذا المولى (السيد) يسلب الروح ويعطى الرغيف.

وذلك الإله واحد، وهذا مئات من الشظايا. وذاك عون للجميع، وهذا بلا حول ولا قوة !

وذلك الإله علاج لآلام الفراق، وهذا المولى في كلامه نفاق.

إن العبد إذا ركن إلى ذاته تكفر باصرته وسمعه وعقله.

وإذا يركب أرواح عهده، تكون الأرواح في الأجساد.. لكنها عن الأجساد غائبة.

إنه حي بلا روح، فأي سر هذا ؟ لتتمعن ! فأنى أسوق إليك معنى جميلا، فانظر !

إن الموت والحياة يا متلقي الدقائق، ليسا إلا من الاعتبارات وحسب

فالأسماك بالجبال والصحراء بغير وجود، والطيور في قاع البحار بغير وجود.

وشجن المغنى للأصم منعدم، ولذة الصوت والصدى له منعدمة !

والأعمى يكون ثملا مسرورا أمام الصناجة، لكنه في عداد الموتى أما الألوان !

وإن الروح حية قائمة بالحق، وإلا فهذه ميتة وذلك حي ! إن ذلك الحق الذي لا يموت هو الحق، والحياة مع الحق حياة مطلقة.

وكل من يعيش بغير الحق ليس إلا ميتا، وإن لم ينح في مأتم نائح.

فكل ما يراه بناظريه في حجاب، وقلبه خال من الذوق والشوق والهياج.

ه لوعة المشتاق ؟! وأنى لأقواله نـــور الآفـــاق ؟! إن
ن مثل أفاقه، وإشراقه أظلم من عشائه. إن الحياة حمل
عاتقه، وموته ربيب أحضانه.

سحبته ألام، ومن نفسه تخمد نيرانه (نيران العشق).

ك الديدان التي لم ترتفع من الطين أبدا

مر والفلك الدوار ؟!

وق اللقاء من غلام، ولا تطلبن منه يقظة.

عان محنة الرؤية، وما كان له في الدنيـــا إلا الأكـــل
ل والموت.

حل قيده لو أنه وضع على روحه قدا آخر.

ه مذهبا كله عقد في عقد، ويأمره بأن يلبس درعا مـــن

ه محكوما للقهر والحقد، ويزيد فيه الخوف من المـــوت

الغلام يائسا من نفسه، ويختفي الأمل من صدره.

ع عليه خلعة جميلة حينا ويضع في يده أيضـــا زمـــام
آخر.

الماهر لا يدع قطعة تقفز خارج يده، إلا بأن يجعـــل
إلى وزير.

عمة اليوم عقله، حتى جعلته ينكر المعنى في الغد.

سخم من منح الملوك، لكن روحـــه الطـــاهرة نحيلـــة

وح طاهرة وتأسى، لأفضل من هلاك قريـــة الأحـــرار

ليس القيد على القدم وإنما هو على الروح

وإنه لمشكل في مشكل في مشكل !

اء الأحرار

ة الذاهبين زمانا، وأبصر صنعـــة الرجـــال الأحـــرار

أعمال أبيك وسوري، وافتح عينيك إن كانت لك جرأة.

ذاتيهما، وبهذا تفرجا على نفسيهما.

الأحجار على الأحجار، وربطـــا الزمـــان بمتعلقاتـــهما

إلى ذلك يجعلك أكثر حنكة، ويطرحك إلى عالم آخر.

نقش إلى النقاش، ويعطيك خبرا من ضمير.

رجال والطباع العالية، (تجدها) في القلب الحجرى لذينك
لبين.

ولا تسلني مسجد من كان هذا، فلا خبر عندي ! ولا تسل الجســ
عن أمر الروح !

أه من احتجابي عن ذاتي، وعن عدم ارتشافي من فرات الحياة.

وآه لقد قلعتني من جذوري وأصولي، وأبعدتني عن مقامي !

إن المحكمات من اليقين المحكم، ويا ويلتي من غصن يقيني وقـــ
خلا من الندى.

ليس بي قوة ((إلا الله))

وسجدتي ليست جديرة بهذه الساحة !

انظر إلى ذلك الجوهر الرقراق، وانظر إلى ذلك التاج الذي تحـــ
القمر.

إن مرمره أكثر رواء من الماء الجاري ولحظة هنـــاك أدوم مـــر
الأبد !

إن عشق الرجال يفضح سرهم، وثقب الحجر إنمـــا يكـــون بـــابر
الجفون (الرموش).

إن عشق الرجال طهر وبهاء كالجنة، ويقطر النغم فـــي الحجـــر
والآجر.

إن عشق الرجال نقد ذوعيان للحسان، ويكون للحســـن مدمـــرا أو
حاميا !

لقد تجاوزت همته ذلك الجانب من الكون، وتجاوزت عالم كيـــف
ولماذا.

وحيث إن ما رآه لا يجوز الخوض فيه.

فإنه رفع النقاب عن ضميره !

إن الجذبات ترتفع بالمحبة، وينال قدرا منها مـــن لا قيمـــة لـــه
فالحياة بغير محبة مأتم كلها، وأعمالها وأعباؤها كلها قبيحة غـــير
محكمة.

والعشق يصقل المعرفة، ويمنح الحجر خاصية المرآة.

ويهب العشاق صدر سيناء ويمنح أهل العقل اليد البيضاء.

ولديه كل ممكن وموجود حائر، وجميلة العالم مـــر وهـــو ســـكر
النبات.

إن حرارة أفكارنا من ناره، وخلق الأرواح النفخ فيها شانه.

ويكفي العشق أن يكون له النمل والطير والآدمي، ويكفي للعشـــق
أن تكون له وحده الداران.

إن سلك اللب بغير قهر سحر، وسلب اللب مع القدرة هو النبوة.

وقد جمع العشق كليهما في الأعمال ومزج بينهما، وأثار العشـــق
عالما في العالم !